فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "علمتني آية"

لا يستوون

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: عمرو الشرقاوي

رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-168539.htm

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هدًى وذكرى لأولي الألباب، وأودعه من العجائب العجب العُجاب، وجعله حاليًّا بالأحرف السبعة وكمال الشِّرعة وفصل الخطاب، والصّلاة والسّلام على النّبي الأوّاب مُبلّغ الكتاب وعلى الآل والأصحاب صلاةً تدوم إلى يوم الحساب ويكون لنا بها عند الله زُلفة وحُسن مآب، وبعد،

يقول الله–عزّ وجل–: "أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ" السجدة ١٨:١٩

وقال الله–سبحانه وتعالى–: "أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ" الزمر:٩

وقال الله–عزّ وجل–:"أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" الجاثية:٢١.

فريقين في القرآن

القرآن الكريم، في مُقابلة دائمًا بين فريقين، الفريق الأول أهل الإيمان –نسأل الله أن يجعلنا منهم–، والفريق الثاني أهل الخسران، هذا الفريق أو هذه المقابلة تبدأ من الدنيا وتنتهي في الآخرة، تنتهي في الآخرة أن يصل الطريق في نهايته إلى أيضا تقسيم النّاس إلى فريقين؛ فأمّا الذين سُعدوا، وأمّا الذين شَقوا.

بداية الطريق

فبداية الطريق هنا، انقسام النّاس إلى فريقين، فريق هداهم الله –عزّ وجل– إلى الصّراط المستقيم، وفريق هم من المغضوب عليهم والضّالين، لذلك ربّنا –سبحانه وتعالى– افتتح سورة الفاتحة ببيان الطريق إليه سبحانه وبحمده، قال الله–عزّ وجل–: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" الفاتحة ٢:٥، الصّراط المستقيم، "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" الفاتحة ٨، يبقى احنا عندنا الصّراط المستقيم، وعندنا صراط المغضوب عليهم والضّالين، ففي أي الفريقين تحبّ أن تكون...؟

من أيّ فريق تريد أن تكون؟

في أي الفريقين تحبّ أن تكون؟ لأن هذين الفريقين لا يستوون عند الله –عزّ وجل–، الله –عزّ وجل– من رحمته وحكمته وعدله –سبحانه وبحمده– لا يُمكن أن يجعل أهل الإيمان كأهل الكفران، لا يُمكن أن يُساويَّ الله –سبحانه وتعالى– بين المُؤمن والكافر، لا يُمكن أن يستوي من يجترح السّيّئات ويُقبل عليها بمن يُلزم نفسه الطّاعة والصّبر على طاعة الله –عزّ وجل– وعن معصية الله –سبحانه وتعالى–. "أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ" ص: ٢٨، "وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ" فاطر ١٩: ٢٢، كذلك لا يستوي من آمن بالله –عزّ وجل– ومن كفر بالله –سبحانه وتعالى–.

لا يستوون

ولذلك ربّنا –سبحانه وتعالى– يقول: "أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ" السجدة:١٨، أفمن كان مؤمنا مُلزمًا نفسه بالعمل، ومُلزمًا نفسه بالإيقان والتّصديق بالله –سبحانه وتعالى–، "كَمَن كَانَ فَاسِقًا"، يعني خارجًا عن شرع الله –عزّ وجل– سواءً كان خروجه كبيرًا أو كان خروجه يسيرًا؛ لا يستوون عند الله –سبحانه وتعالى– ولذلك جعل الله –عزّ وجل– الجنة درجات، وجعل النار دركات.

مراتب الجنة

الله –عزّ وجل– حين أخبر عن الجنة جعل أناس في أعلى درجات الجنة، وجعل أناس أيضًا في أدنى درجات الجنة، "سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، ما أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قالَ: هو رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ ما أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فيُقالُ له: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، كيفَ وقدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنازِلَهُمْ، وأَخَذُوا أخَذاتِهِمْ، فيُقالُ له: أتَرْضَى أنْ يَكونَ لكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِن مُلُوكِ الدُّنْيا؟ فيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فيَقولُ: لكَ ذلكَ، ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ، فقالَ في الخامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فيَقولُ: هذا لكَ وعَشَرَةُ أمْثالِهِ، ولَكَ ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، ولَذَّتْ عَيْنُكَ، فيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قالَ: رَبِّ، فأعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أرَدْتُ غَرَسْتُ كَرامَتَهُمْ بيَدِي، وخَتَمْتُ عليها، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، ولَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، ولَمْ يَخْطُرْ علَى قَلْبِ بَشَرٍ، قالَ: ومِصْداقُهُ في كِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهمْ مِن قُرَّةِ أعْيُنٍ السجدة: ١٧الآيَةَ. صحيح مسلم "فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" السجدة:١٧.

مراتب النار

فلذلك ربّنا –سبحانه وتعالى– لما ذكر الجنة، ذكر أن الجنة درجات، وحين ذكر النار –والعياذ بالله– ذكر أن النار دركات ولذلك قال الله –سبحانه وتعالى–: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ" النساء: ١٤٥. في الدّركِ الأسْفَل مِن النار، وقال النبي –عليه الصّلاة والسّلام– لمّا سأله العبّاس بن عبد المطلب ما الذي قدّمته لعمّك أبي طالب وقد كان يفعل ويفعل؟ فقال النبي –عليه الصّلاة والسّلام–: "إنَّه في ضَحْضاحٍ مِنَ النَّارِ، ولَوْلَا أنا لكانَ في

الدَّرْكِ الأسفلِ – يعني أبا طالبٍ" صححه الألباني، يعني في درجة أو في دركة سافلة من النار، وإنما في دركة أعلى منها يُوضع تحت رجليه جمرة يغلي منهما دماءه –والعياذ بالله– يرى أنه أشد أهل النار عذابا وهو أهون أهل النار عذابًا، نعوذ بالله من أهل النار وأهلها.

كن مع السابقين...

فلذلك كن حريصًا أن تكون مع السّابقين، ولذلك ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ" الحديد: ٢١، وقال الله –عزّ وجل–: "وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ" آل عمران: ١٣٣، هذه المُسارعة والمُسابقة هي التّنافس الذي يجعلك في أحد الفريقين، لأن هذين الفريقين أبدًا لا يستوون عند الله –عزّ وجل– "أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً... " الجاثية: ٢١، يعني الإثنين متساويين، "مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ" الجاثية: ٢١، تجد بعض الناس الآن لا يُفرّق بين المؤمن والكافر، وإنما ينظر بنظرٍ قاصر إلى ما يفعله الكافر في الدنيا فيبني عليه التّصوّر، النّبي –عليه الصّلاة والسّلام– لما ذكرت له السيّدة عائشة –رضي الله عنها– ابن جدعان "قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ابنُ جُدْعانَ كانَ في الجاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، ويُطْعِمُ المِسْكِينَ، فَهلْ ذاكَ نافِعُهُ؟ قالَ: لا يَنْفَعُهُ، إنَّه لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتي يَومَ الدِّينِ" صحيح مسلم.

درجات المؤمن والكافر

المؤمن في درجة عند الله –عزّ وجل– عالية بإيمانه، والكافر في درجة عند الله –عزّ وجل– يُعوّضه الله في الدنيا، يجعل الله –عزّ وجل– له شُهرة في الدنيا؛ لكنّه في الآخرة لا يستوي أبدًا بأهل الإيمان.

درجات المؤمنين

وكذلك أهل الإيمان بعضهم مع بعض لا يستوون، إنكم تراءون أهل الغرف، كما قال النبي–عليه الصّلاة والسّلام–: "إنَّ أهلَ الجنةِ لَيتراءَون أهلَ الغُرَفِ من فوقِهم، كما تُراءون الكوكبَ الدُّرِّيَّ الغابرَ في الأُفُقِ من المشرقِ أو المغربِ لتفاضُلَ ما بينهم" صححه الألباني.

يعني شوف الإثنين في الجنة لكن أحدهما ينظر إلى مكان الآخر كما ينظر أحدنا إلى النّجم الغابر في السماء –الذي لا يُرى إلّا أثر يسير جدًا من آثاره في الآخرة–، فلذلك لا يستوي مؤمن وكافر، بل لا يستوي مؤمن ومؤمن كل منهما يكون في درجة في الآخرة، درجة في الجنة مع إن ده في الجنة وده في الجنة، لكن هذا عمله أوصله. "وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" الزخرف: ٧٢، فلذلك اجتهد أن تحصّل درجةً عاليّةً في الجنة.

أسأل الله–سبحانه وتعالى–أن يجعلنا وإيّاكم من أهله النّعيم المُقيم.

وصلّى الله على نبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين